إبراهيم النعمة

حول تقسيم العراق
والوطن العربي


دار المأمون للنشر والتوزيع

الطبعة الاولى ١٤٣١هـ ٢٠١٠م



حول تقسيم العراق

والوطن العربي


بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

نحمدك اللهم ونستهديك، ونستعين بك ونتوكل عليك، ونصلي ونسلم صلاة طيبة زاكية مباركة على من ختمت به الشرائع، وأرسلته رحمة للعالمين، سيدنا محمدﷺ، وعلى اله الطيبين وصحبه الذين اصطفيتهم من خلقك، وائتمنتهم على تبليغ شرعك الشريف إلى الناس كافة.! اللهم صلِّ على محمد وال محمد، وآته الوسيلة والفضيلة، وابعثه مقاما محمودا الذي وعدته، إنك لا تخلف الميعاد.!

أما بعد:

فهناك تحديات كبيرة تواجهها الأُمَّتان: العربية والإسلامية، تبغي استئصال وحدة كلٍ منهما. وكان لإسرائيل الدور الكبير في إثارة الأقليات العرقية والطائفية في الوطن العربي-ومنه العراق- لإضعاف وتشتيت قوة الأمة. ووقفت البلاد العربية عاجزةً عن مقاومة مشاريع التجزئة التي قام -ويقوم- بها العالم الغربي، وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية.

لقد كان احتلال العراق من قبل الغزاة بزعامة أمريكا جريمة كبرى من جرائم التاريخ، ولم يقع ذلك الغزو إلا بعد تخطيط دقيق ومبرمج ومدروس من قبل أمريكا وإسرائيل. وليس صواباً ما يتناقله الإعلام من أن أمريكا خُدعت بالتقارير التي قُدمت لها عن امتلاك العراق لأسلحة الدمار الشامل فأقدمت على غزوها؛ لأن الغزو كان قد أعد له مسبقا لمصلحة أمريكا وإسرائيل معاً، وهو خطوة من خطوات تجزئة الوطنين العربي والإسلامي..!

لقد خُطط لتجزئة البلاد العربية والإسلامية منذ زمن ليس بالقريب، وكان مشروع التجزئة يعمل عمله في هذا البلد وذاك، وبعد احتلال العراق ازداد نشاط تلك المشاريع، وظهرت –مرة أخرى- إلى الوجود مصطلحات (الأقاليم) و (الفدرالية) و (الكونفدرالية) و... وقد كثر النقاش والجدال في أمر (الأقاليم) و (الفدراليات) التي تدعو اليها محافظات عديدة في العراق، وحجتها في ذلك: تقصير الحكومة المركزية في إعطائها ما تستحقه أولا، وتدخلها في المحافظات بأمور ليس من حقها التدخل فيها: كالإعتقالات التي تقوم بها قوات عسكرية مرسلة من المركز أو من غيره تطول أعدادا من الناس.. تنفذ القوات العسكرية تلك الإعتقالات من غير أن تُعلِم تلك الجهات المحافظين بما ستقوم به من اعتقالات، وغير ذلك كثير ما يطول شرحه...! وكل من يدعو إلى (الأقاليم) أو (الفدراليات) يقول: إنّ هذا السلوك الذي تسلكه الحكومة المركزية فيه ما فيه من الظلم والإفتئات وهو الذي حمل هذه المحافظة أو تلك على سلوك هذا النهج في المطالبة بالأقاليم أو الفدراليات، ولسان حال كل محافظة من تلك المحافظات ما قاله شاعرنا القديم:

فلولا المزعجات من الليالي لما ترك القطا طيب المنام

ويقوم المنادون بالأقاليم والفدراليات باقناع أنفسهم أنهم لم يزالوا مع وحدة العراق، ولا يريدون تفتيته ولا تقسيمه، وتشترك في مثل هذا الكلام طوائف من الشيعة والسنة والعرب وكثير من الأكراد، بل إن هذه الدعوات يقولها حتى الذين خططوا لتقسيم العراق من الغربيين أنفسهم.!!

لقد كانت بداية الدعوة إلى تقسيم العراق حاملة اسم التقسيم صراحة، وكان هذا الاسم بغيضاً إلى النفوس فلم يُلاقِ القبولَ من الشعب العراقي فعملوا على تحوير المصطلح وتجميله وتلميعه بغية أن يتقبله الناس فنادوا بالفدراليات.

والفدراليات حتى لو لم يُرد بها التقسيم، فإنها –ولاشك- خطوة من الخطوات إلى التقسيم.

لقد ظل العالم الغربي –وبخاصة أمريكا- يفكر ويقدّر؛ ليفتت العالم العربي والإسلامي؛ لأن مصلحته تقتضي ذلك أولا، ومصلحة اسرائيل تقتضيها كذلك، وقد قال(كيسنجر) وزير خارجية أمريكا السابق:

(إن ما هو جيد للولايات المتحدة في الشرق الأوسط هو جيد لإسرائيل، ومصالح اسرائيل والولايات المتحدة تتناسب مع بعضها البعض؛ لأن وجود اسرائيل قوية هو لصالح المصالح الأمريكية).

وقال (مناحيم بيكن):

إن المصالح بين إسرائيل وأمريكا مشتركة، وقد قامت اسرائيل بتقديم أعظم الخدمات للمصالح الأمريكية)[1].

إنّ القارئ لمخططات تقسيم العراق والعالم العربي، يرى لإسرائيل فيهما مساهمة كبيرة مع الغرب. فقد اتخذت وسائل عديدة من أجل الوصول إلى ذلك الهدف. فهذا (ناحوم كولدمان) رئيس المؤتمر اليهودي، صرّح لجمع من الصحفيين في باريس قائلا:

---

(١) سياسة أمريكا تجاه العالم الإسلامي للمؤلف ص٢٥ مطبعة الزهراء، الموصل.

(إذا أردنا لإسرائيل البقاء والإستمرار، فعلينا أن نساهم في تمزيق الوطن العربي إلى دويلات طائفية وعنصرية، يكون لإسرائيل فيها الدور القيادي والطليعي: دويلة درزية على الحدود السورية، ودويلة مارونية في لبنان، ودويلة كردية في شمال العراق)[٢].

لقد كان هذا التصريح سنة ١٩٧٤م، أما بعد ذلك، فقد اتخذت اسرائيل والغرب خطوات أكثر في تمزيق الوطن العربي.

ولا بد لنا أن نذكر ما يقوله دعاة الفدرالية في هذا الأمر، إنهم يقولون: لم نذهب إلى ما ذهبنا إليه إلا بعد أن سدّت أبواب الإصلاح كلها في وجوهنا، فقد صرنا لا نتوقع أيّ إصلاح كان، ويقيمون الدليل بعد الدليل على الظلم الذي أصابهم –وما زال يصيبهم كذلك– ويأتون بأمثلة كثيرة على ذلك أيضا، حتى إن من السامعين لهم من يعطيهم الحق في الدعوة إلى ما يريدون، وكأن هؤلاء يقولون لكل من ينكر عليهم الدعوة الفدرالية: لا تلومونا على ما أقدمنا عليه، فقد بلغ السيل الزبا، وجاوز الحزام الطبيين، ولم يبق للصبر مكان في النفوس، وهذه علة الكثرة الكاثرة التي تدعو إلى الفدرالية.

أما هذا البحث المتواضع فهو مقتطفات من قسم من المخططات لتقسيم العراق والعالم العربي، كتبتها ليطلع عليها العراقيون خاصة، فيدركوا حقيقة تلك المؤامرات التي حيكت وتحاك ضد أمتنا في الليالي الليلاء وقد نجحوا في ذلك وآثرتُ أن يكون البحث مختصرا؛ ليطلع عليه عدد كثير من الناس. والحقت البحث بمقال كنت قد نشرته في موقع (مفكرة الإسلام) بتاريخ ٢٧/ ١٢/ ٢٠١٠

(٢) مجلة الأسبوع العربي، شهر نيسان ١٩٧٤

ولا بدَّ لي أن اشير هنا إلى أن هذا البحث من الأبحاث الحساسة التي تختلف فيه وجهات النظر: فهناك من يؤيده، وهناك من ينتقده. وحسبي أني ذكرت ما ينبغي أن يعرفه كل عراقي وعربي ومسلم وغير مسلم في المرحلة الحاضرة مما خطط لهذه الأمة.

ولا يفوتني أن أُنوه بكتاب مهم يحتوي على عدد كثير من الوثائق المهمة في أمر تجزئة الوطن العربي، وقد أفدت منه، وأنصح بقراءته وهو بعنوان (دور إسرائيل في تفتيت الوطن العربي) تأليف الأستاذ الدكتور أحمد سعيد نوفل. والله أسأل أن يبصرنا بما ينفعنا، ويدفع عنا عادية الأعادي وكيد الكائدين. والله يقول الحق، ومنه –وحده– الهداية والسداد.

عملت قوى الإستعمار الغربي التي كانت جاثمة على صدر الوطن العربي على تجزئة هذا الوطن، وذلك بالحدود التي رسمتها اتفاقية (سايكس بيكو) سنة ١٩١٦ . ولم تكتف بهذا، بل قامت بانشاء كيان لليهود في قلب الوطن العربي، وعملت –ولا تزال تعمل كذلك– على تقسيم المقسَّم، وتجزئة المجزَّأ، فخططت لتقسيم العراق وسوريا والأردن ومصر والسودان وغير هذه الدول. ومن تلك المخططات ما اقترحه (برنارد لويس)(٣) من تقسيم الشرق الأوسط على اثنتين وثلاثين دويلة عرقية وطائفية ودينية؛ لتصبح البلاد العربية ٨٨ دويلة، بعد أن كانت ٥٦ دولة واستباحة ثروات البلاد العربية ومواردها وتحويلها الى المجتمع الغربي. كل ذلك من أجل مصلحة أمريكا وإسرائيل، وقد أقرّ هذا

---

(٣) برنارد لويس: مستشرق يهودي الأصل، بريطاني الجنسية، وحصل على الجنسية الأمريكية وأقام في أمريكا. ولد سنة ١٩١٦، وتخرج في جامعتي (لندن) و(باريس)، نال درجة الدكتوراه سنة ١٩٣٩ . وفي السنوات ١٩٤٠–١٩٤٥ تفرغ لخدمة المخابرات البريطانية، ثم عاد للعمل في الجامعة حتى عام ١٩٧٤، درس التاريخ الإسلامي في جامعتي (لندن) و (كاليفورنيا) وبعد الحرب العالمية الثانية عكف على دراسة تاريخ الشرق الأوسط والعالم العربي وكتب كتبا ومقالات في مصلحة المشروع الصهيوني، وكتاباته فيها تهويل من خطر الإسلام على الغرب، ودعا صناع القرار لاتخاذ سياسات معادية للعرب والإسلام. وهو أكثر الناس تحمسا لتقسيم البلاد العربية والإسلامية على اسس دينية ومذهبية وعرقية. ولقد كان المرجعية لجورج بوش، وكان له تأثير على الحكومات الأمريكية المتعاقبة منذ عهد (ريغان) وإلى اليوم فيما يخص قضايا الشرق الأوسط، الذي دعا إلى مصطلح (الشرق الأوسط) ليكون محل مصطلح (العالم العربي) من أجل أن تدخل إسرائيل في هذا المصطلح، وقد كتب مقالا في صحيفة (واشنطن بوست) بتاريخ ١٥/ ٥/ ٢٠٠٥ قال فيه: (العراق دولة مصطنعة وليست حقيقية، واحتلاله سيكون فرصة لتصحيح هذا الخطأ الذي ارتكبه البريطانيون: أي تفكيكه إلى عدة دويلات بحسب الطبيعة السكانية، وحسب الإنتماءات الدينية والعرقية) صراع المصالح في بلاد الرافدين ص١٦٠ .
ومع ذلك فقد شهد بعظمة الإسلام ديناً ودولة .

المخطط الكونكرس الأمريكي في عام ١٩٨٣، ونشرتها جريدة الأهرام في ٧/ ٨/ ١٩٨٧ في مقال كتبه إبراهيم نافع بعنوان (أحداث الهرم الأخير... الهدف والمخطط والنذير)، ونُشر –أيضا– في جريدة الأخبار المصرية في ٢٦/ ٢/ ١٩٩٨ الطبعة الأولى فقط، ونشرتها جريدة (الوفد) في ٢٨/ ٢/ ١٩٩٨ بقلم عبد الهادي بكار.

ويتحدث عن هذه المؤامرة السيد إبراهيم بسيوني في كتابه (المؤامرة الكبرى) فيقول:

(لم ننتبه إلى تصريحات غربية متعددة بعد الحرب العراقية الإيرانية عام ١٩٨٨، ومنها ما أوضحه (بريجنسكي) مستشار الرئيس الأمريكي الأسبق للأمن القومي قال: إن المشكلة الحقيقية التي ستواجهها الولايات المتحدة الأمريكية بعد حرب العراق – إيران، هي ضرورة وجود حرب أخرى على هامشها لتصحيح الحدود التي رسمتها اتفاقية (سايكس بيكو) عام ١٩١٦، ومقررات (مؤتمر فرساي) في نهاية الحرب العالمية الأولى، ثمّ جاء صراخ (كلينتون) الرئيس الأمريكي السابق في نهاية عهده، محذرا ان العرب ينتظرهم مستقبل مظلم قادم، وكان الديمقراطيون قد تعمدوا تأجيل السيناريوهات الدموية، وفضلوا ديمقراطية التعاون والعمل المشترك. إن الخرائط الأمريكية لا تكتفي بالعراق وحده، وإنما تقدم تقسيما للدول المجاورة لها، فمثلا تقسم إيران إلى سبع دويلات، ولبنان إلى ثماني دويلات، والسودان إلى خمس دويلات)[٤].

وهنا نذكر مقتطفات من ذلك المخطط الذي وضعه (برنارد لويس) وأقرها الكونكرس الأمريكي عام ١٩٨٣:

---

[٤] السطوح المتصدعة تأليف: آيدن آقصو ص١٣، الطبعة الثانية ١٤٢٧-٢٠٠٦.

تقسيم العراق إلى ثلاث دول: أ- دولة كردية في الشمال ب- دولة سنية عربية في الوسط جـ- دولة شيعية في الجنوب.

تقسيم سوريا إلى ثلاث دول: أ- دولة درزية ب- دولة عربية جـ- دولة سنية.

تقسيم الأردن إلى كيانين أ- احدهما للبدو ب- والآخر للفلسطينيين.

تقسيم المملكة العربية السعودية إلى عدة دويلات وإمارات، وتصبح كبقية إمارات ودول الخليج العربي، وإعادتها إلى ما كانت عليه قبل إنشاء المملكة عام ١٩٣٣.

تقسيم لبنان إلى أ- دويلة مسيحية ب- دويلة شيعية جـ- دويلة سنية د- دويلة درزية هـ- دويلة علوية.

تقسيم مصر إلى دولتين على الأقل أ- واحدة إسلامية ب- والثانية قبطية.

فصل جنوب السودان عن شماله لتقام فيه أ- دولة زنجية مستقلة في الجنوب ب- دولة عربية في الشمال، وقد تم ذلك.

تقسيم موريتانيا إلى دولتين أ- دولة عربية ب- دولة زنجية [٥].

(ويعترف (برنارد لويس) بأنّ هذا المخطط سوف يخدم الإسرائيليين؛ لأن تلك الدويلات والكيانات [لن تكون فقط غير قادرة على أن تتحد، بل سوف تشلها خلافات لا انتهاء لها على مسائل الحدود والطرقات والمياه والنفط ووراثة الحكم ...الخ، ونظراً لأن كل كيان من هذه الكيانات سيكون أضعف من اسرائيل، فإن هذه ستضمن تفوقها لمدة نصف قرن على الأقل)[٦].

---

(٥) دور إسرائيل في تفتيت الوطن العربي للدكتور أحمد سعيد نوفل ص٢٦-٢٧ الطبعة الأولى ١٤٢٨-٢٠٠٧، بيروت.

(٦) دور إسرائيل ص٢٧.

(وما يحدث في العراق له علاقة مباشرة بالمخططات الأمريكية الإسرائيلية في تجزئة الأقطار العربية؛ خدمة لمصالحهما المشتركة؛ لأن الإستراتيجية الأمريكية الإسرائيلية تتعامل مع الوطن العربي على أساس أنه لا يشكل وحدة واحدة في انتماءاته وحضارته وعروبته، ولا بد من العمل الدائم لتفتيته وتجزئته)(٧).

والذي نريد ذكره هنا: تصريحات قادة أمريكا بضرورة تقسيم العراق إلى ثلاث دويلات؛ ليطلع على ذلك من لم يطلع عليها، ولا يتسع المجال لذكرها جميعا، ونقتصر هنا على ما أكد عليه (ليزلي غلب) الرئيس السابق لمجلس العلاقات الخارجية في الكونكرس الأمريكي في مقالة له نشرها في صحيفة (نيويورك تايمز) بعنوان (الحل القائم على ثلاث دول). تتحدث المقالة عن مستقبل العراق وتقسيمه على ثلاث دويلات: الأولى للأكراد في الشمال، والثانية للسنة في الوسط، والثالثة للشيعة في الجنوب. وبين (غلب) الهدف من ذلك فقال:

(إن الهدف من ذلك: هو دعم الأكراد والشيعة، وإضعاف السنة. وإن على أمريكا أن تمنح معظم الأموال إلى الطرفين: الكردي والشيعي).

وفي هذا المعنى ما قاله (غلب) متوعدا السنة في العراق:

(الدولة السنية –يقصد بعد التقسيم- بلا نفط وبلا عائدات، فلا بد أن يعتدلوا، وإلا يعانوا العواقب.. الفكرة هي تقوية الشيعة والأكراد وإضعاف السنة، وإن الخطوة الأولى تكون من خلال الحكم الذاتي للجنوب والشمال وننتظر النتائج)(٨).

---

(٧) دور اسرائيل ص٢٧

(٨) صراع المصالح في بلاد الرافدين ص ١٩٧-١٩٨.

ويعترف (غلب) بأن تجزئة العراق سوف تؤدي إلى الفوضى والخطورة، ولكنه يطالب حكومته باجراء تعديلات في إقامة المواطنين العراقيين، وأن يتم توزيعهم ونقلهم من مكان لآخر، حسب توزيعهم الأثني والمذهبي، حتى لو تطلب ذلك استعمال القوة من أجل التقسيم والتجزئة في العراق)[٩].

ويذهب (جوزيف بايدن) نائب بوش للولايات المتحدة إلى أن هذا التقسيم حين يتم، فلا بد أن تبقى بغداد عاصمة فدرالية، معللا ذلك بعدم نجاح الولايات المتحدة في رأب الصدع بين الشيعة والسنة.

وورد في المخطط:

(الإتيان بقيادة عراقية ستؤدي إلى حدوث حرب أهلية بين السنة والشيعة والأكراد. وهذا يتطلب فرض الحل الأمريكي الإسرائيلي بتجزئة العراق، ويضع في اعتباره عدة احتمالات منها: إمكانية استقلال الأكراد في دولة لهم، على الرغم مما تسببه من تخوفات لحليفتها تركيا، وإقامة دولة شيعية في الجنوب وما يسبب ذلك من حساسية لبعض دول الخليج العربي...)[١٠].

أما (رامسفلد) وزير الدفاع الأمريكي السابق، فقد رفع مذكرة إلى الرئيس الأمريكي قبل يومين من استقالته أي في ٦/ ١١/ ٢٠٠٦ طالبا التسريع بخطة الفدرالية،

---

(٩) دور اسرائيل في تفتيت الوطن العربي ص٧١، نقلا عن صحيفة (نيويورك تايمز) ٢٥/ ١١/ ٢٠٠٣.

(١٠) دور اسرائيل في تفتيت الوطن العربي ص٧١، نقلا عن مركز مدار الفلسطيني، رام الله ١٦/ ١٠/ ٢٠٠٣.

والتحرك باتجاه انشاء ثلاث دول منفصلة: كردية وشيعية وسنية؛ لأن ذلك أحد الخيارات المطروحة للخروج الأمريكي من العراق بأقل الخسائر(١١).

لقد انضوى تحت مصطلح (الفدرالية) كثير من السياسيين الغربيين والعرب على حد سواء، فهم يتحدثون عن التقسيم وفوائده بزعمهم، لكنهم يختمون أحاديثهم بقولهم: نحن نرفض التقسيم ونؤيد الفدرالية، حتى أن (جوزيف بايدن) وهو من أشد الناس تحمسا لتقسيم العراق كان يقول عن مشروعه في التقسيم:

(القرار لا يسعى إلى تقسيم العراق، بل نقل السلطات إلى حكومات المناطق مع وجود حكومة مركزية محدودة، مسؤولة عن حماية الحدود العراقية وتوزيع الثروة النفطية)(١٢).

ومما يدعو إلى الأسى والأسف أن نجد من بعض قيادات العراق من يدعو إلى ما دعت اليه أمريكا واسرائيل من تقسيم العراق إلى فدراليات: فقد وجد من تلك القيادات من دعا إلى اقليم فدرالي للشيعة، وإقليم فدرالي آخر للأكراد في شمال العراق.! وهذا كله خطوة أولى ليتم تقسيم العراق بعد ذلك. ولقد ألف (بيتر جالبريث)(١٣) كتابا بعنوان

---

(١١) صراع المصالح في بلاد الرافدين ص١٦٨، نقلا عن مقال: تفتيت العراق والوطن العربي للدكتور عبد الإله الراوي شبكة البصرة في ٢٧/ ١١/ ٢٠٠٧.

(١٢) صراع المصالح في بلاد الرافدين ص١٦٩/ نقلا عن موقع سويس انفو في ٢/ ١٠/ ٢٠٠٧.

(١٣) أحد أعضاء لجنة الشؤون الخارجية في الكونكرس الأمريكي في الثمانينات والتسعينات وقد أطلع من موقعه على الكثير من التقارير والوثائق السرية التي تقدم للكونكرس ولا تذاع على الرأي العام. وقد خدم في إدارة الرئيس الأمريكي الأسبق (بيل كلنتون) سفيرا لواشنطن في كرواتيا، وكان أحد مهندسي اتفاق وقف اطلاق النار هناك، وزار العراق مرات كثيرة بصورة كاتب صحفي مستقل ومستشار لشبكة (آيه . بي . سي) نيوز الأمريكية، وقام بتغطية حرب تحرير الكويت، ثم الإحتلال الأمريكي للعراق.

(نهاية العراق) تبنى فيه فكرة تقسيم العراق من بوابة (الحتمية) مقررا أن العراق الموحد ذهب إلى غير رجعة وأن تجميعه مرة ثانية في صورة دولة موحدة لا يمكن أن يكون، وأن أمريكا قد كتبت شهادة وفاته، وأن تقسيمه يكون على ثلاث دويلات: دويلة كردية في الشمال موالية للغرب، ودويلة شيعية في الجنوب موالية لإيران، ودويلة سنيَّة في الوسط بلا هوية تعمها الفوضى[١٤].

إن هذا التقسيم يراه (جالبريث) حقيقة فلا حاجة للجدل في هذا الأمر فيقول:

(يجب أن نكف عن الجدل حول ما إذا كنا نريد تقسيما أو فدرالية في العراق، وأن نبدأ بدلا من ذلك في التفكير في الكيفية التي يمكننا بها تحقيق الآثار التي ستترتب على التفكيك الحتمي لذلك البلد)[١٥].

ويعدد (جالبريث) مشكلات اجرائية في طريق التقسيم فيقول:

(ستكون هناك حاجة في هذا السياق بالطبع إلى عقد استفتاءات، كما يستلزم الدستور العراقي من أجل تعيين الحدود النهائية للمناطق الثلاث، وسيستلزم الأمر أيضا التوصل إلى صفقة بشأن تقاسم أموال النفط ترضي الشيعة والأكراد، وتضمن للسنة في الوقت نفسه تدفقا ثابتا من العائدات، إلى أن يتم تطوير موارد النفط غير المستغلة حتى الآن والواقعة في مناطقهم، كما يستلزم الأمر كذلك التوصل إلى صيغة لتقسيم بغداد،

ينظر: المشاريع الكبرى لتقسيم العراق ومحافظاته للدكتور نور الدين الحيالي ص٢٤٦-٢٤٧؛ الطبعة الأولى ٢٠٠١.

(١٤) المشاريع الكبرى لتقسيم العراق ومحافظاته ص٢٤٧.

(١٥) صراع المصالح في بلاد الرافدين تأليف: أحمد فهمي ص١٥٨، سلسلة كتاب مجلة البيان، رقم ٨٥، الرياض، المملكة العربية السعودية.

وعلى المستوى الإقليمي فسيتحتم إقناع جيران العراق بالقبول بجغرافيا سياسية جديدة)[16].

هكذا فعلت سياسة أمريكا في العراق، لقد مزقته إربا إربا، وصار من العسير أن يعود كما كان بلدا موحدا، ويخشى على البلد أن تقع فيه حرب أهلية تأكل الأخضر واليابس إلى أن يتم التقسيم.

مساهمة إسرائيل مع الغرب في تقسيم الوطن العربي

نظر قادة اسرائيل إلى مستقبل دولتهم، فوجدوها قليلة العدد بالنسبة إلى الدول العربية التي تحيط بها، وقلقها من فصائل المقاومة الفلسطينية وبخاصة حماس والجهاد الإسلامي، ولا ريب أن هذا يشكل تهديدا حقيقيا لها، فلا بد من التخطيط لتكون آمنة مطمئنة، وبعد الحوار بين قادتها وذوي الرأي فيها رأوا أن ما قدمه (شمعون بيريز) أفضل ما يكون لتحقيق مستقبل الأمن في إسرائيل ويتلخص رأيه فيما يأتي:

(ليس أفضل من إحالة المنطقة إلى دويلات صغيرة، أو كيانات هشة محدودة الفعالية، ثمّ إلهاء هذه الدويلات بصراعات دائمة حول الحدود والثروات...)[17].

وفي هذا المعنى ما قاله (ديفيد بن غوريون):

(نحن شعب صغير، وإمكانياتنا ومواردنا محدودة، ولا بدّ من العمل على علاج هذه الثغرة في تعاملنا مع أعدائنا من الدول العربية، من خلال معرفة وتشخيص نقاط الضعف لديها، وخاصة العلاقات القائمة بين الجماعات والأقليات العرقية والطائفية،

---

(16) صراع المصالح في بلاد الرافدين تأليف: أحمد فهمي ص١٥٨.

(17) السطوح المتصدعة تأليف: آيدن آقصو ص٢٤.

بحيث نسهم في تفخيم وتعظيم هذه النقاط؛ لتتحول في النهاية إلى معضلات يصعب حلها أو احتواؤها)[١٨].

وبهذه الطريقة تزداد إسرائيل قوة، وتزداد الدول العربية المقسمة ضعفا فلا تفكر في محاربة إسرائيل بل ولا في تعكير صفو حياتها. وتقسيم المقسَّم وتجزئة المجزّأ: هو ما كان يطالب به كيسنجر.

وهذا ما أشارت اليه المنظمة الصهيونية العالمية في أمر تقسيم البلاد العربية ومن ذلك: تفتيت العراق وسوريا وتدمير القوة العسكرية للعراق وسوريا، وتفكيك العراق أكثر أهمية من تفكيك سوريا؛ لأن العراق يمثل على الأجل القصير أخطر تهديد لإسرائيل[١٩].

ولقد نشرت مجلة (كيفونيم) اليهودية التي تصدرها المنظمة الصهيونية العالمية في القدس في العدد ١٤/ ٢/ ١٩٨٢ تقريرا بعنوان (استراتيجية اسرائيلية للثمانينيات) جاء فيه بعد أن تحدث التقرير عن تفتيت سوريا:

(.. إن تفتيت العراق هو أهم بكثير من تفتيت سورية، وذلك لأن العراق أقوى من سورية، إن في قوة العراق خطورة على إسرائيل في المدى القريب أكبر من الخطورة النابعة من قوة أي دولة أخرى، وسوف يصبح بالإمكان تقسيم العراق إلى مقاطعات

(١٨) دور اسرائيل في تفتيت الوطن العربي ص٤٩.

(١٩) ملف إسرائيل – دراسة للصهيونية السياسية تأليف: روجيه جارودي ص١٦٠، ترجمة مصطفى كامل فودة، الطبعة الأولى ١٩٨٣، دار الشروق، بيروت.

إقليمية طائفية... وبذلك يمكن إقامة ثلاث دويلات –أو أكثر– حول المدن العراقية..)[20].

وسائل إسرائيل في إضعاف الدول العربية

وضعت اسرائيل في استراتيجيتها للوصول إلى أهدافها في إضعاف الدول العربية وسائل كثيرة، أهمها ما يأتي:

١- تفتيت الدول العربية من خلال إثارة النعرات الطائفية، أو تغذيتها داخل كل دولة عربية بما يحقق الأمن القومي لإسرائيل.

٢- العمل على توسيع الخلافات بين الأقطار العربية، لكي تبدد قوتها العسكرية في الصراعات الإقليمية التي تسهم هي في خلقها ودعمها.

٣- العمل على منع قيام وحدة بين الأقطار العربية؛ والسعي إلى تمزيق المنطقة وتجزئتها بتحويلها إلى كيانات ضعيفة متقاتلة.

٤- إنشاء حركات مؤيدة لإسرائيل، تهدف إلى تفتيت الروابط الإجتماعية والقومية في المجتمعات العربية، وخلق صراعات دينية بين المسلمين وبقية الطوائف، من أجل تفتيت الشعب الواحد وتقسيمه.

٥- تمزيق الدول العربية إلى مناطق مستقلة، تسيطر عليها الطوائف المختلفة.

٦- تجزئة وتقسيم وتدمير الأقطار العربية هو واجب وهدف اسرائيل الأول.

---

(٢٠) صراع المصالح في بلاد الرافدين ص١٧٥.

٧- على إسرائيل ان تقيم علاقات جيدة مع الأقليات الدينية (المسيحيين) والعرقية (الأكراد) والأثنية (البربر)، وتحريضها للعمل معها ضد العرب، حتى تصل إلى حد الإنفصال وتشكيل كيانات منفصلة.

٨- من أجل القضاء على التفوق السكاني العربي والقوة العربية، لا بدّ من تفتيت الأقطار العربية لإضعافها وإبقائها عاجزة عن مقاومة الوجود الإسرائيلي.

٩- التركيز الإسرائيلي على أن منطقة الشرق الأوسط لا تضم شعبا واحدا، بل عدة شعوب مختلفة، والتأكيد على هوية الشرق أوسطية بديلا عن الهوية العربية لشعوب الشرق الأوسط[٢١].

وقد أكدوا هذا الأمر مرات عديدة فقالوا:

(يجب إيجاد لغة مشتركة، وطريقة عمل واحدة مع الأكراد في العراق، والدروز في سوريا، والزنوج في السودان، والموارنة في لبنان، والأقباط في مصر، وسائر ابناء الشعوب والديانات التي تحارب سوية من أجل التحرير والإستقلال)[٢٢].

ومن الأمور التي تبعث على الحزن والأسى أن نجد كثيرا من تلك الوسائل تأخذ طريقها إلى النجاح. وأول نجاح تحقق الآن هو انفصال جنوب السودان عن شماله، وقيام اسرائيل ببناء قاعدة لها في الجنوب المنفصل.

وإذا كانت دول الإستعمار وأمريكا قد عملت على تجزئة الوطن العربي في هذا العصر، فإن عملها هذا قد سبقه عمل آخر قديما، فقد تحالفت على القيام به دولتا

---

(٢١) دور إسرائيل في تفتيت الوطن العربي ص ٥٢-٥٣.

(٢٢) دور اسرائيل في تفتيت الوطن العربي ص٥١.

الإستعمار الإنكليزي والفرنسي، من أجل تمزيق الوطن العربي واستنزاف قدراته، وذلك للحيلولة دون قيام وحدة بين الدول العربية؛ إذ إنّ اسرائيل لا يمكن أن يكتب لها البقاء إذا اجتمع شمل البلاد العربية. ونقلب صفحات التاريخ الحديث فنجد الحركة الصهيونية منذ أواخر الثلاثينات من القرن العشرين وإلى اليوم قد عملت وتعمل للوصول إلى هذا المبتغى.

فهذا (اريبل شارون) كان قد اهتم بتفتيت الوطن العربي قبل قيامه باحتلال لبنان، وقد صرح في مقابلة له مع صحيفة (معاريف) قائلا:

(إن الظروف مواتية لتحقيق مشروع تفتيت الدول العربية، وبسط الهيمنة الإسرائيلية على المنطقة. وتحدث عن الصراع المحتمل حدوثه بين الشيعة والسنة والأكراد داخل العراق...)[٢٣].

ولقد وقع ما كان توقعه (شارون) من مجازر دموية، حصدت أرواح عشرات الآلاف من الطرفين، ويُخشى أن تقع مجازر أخرى في الأيام القليلة القابلة بين العرب والأكراد بعد أن قام الأكراد بالإستيلاء على اراضٍ عربية ليست لهم، وبسطوا نفوذهم فيها، وهيمنوا على مرافقها ومؤسساتها هيمنة تامة. وكان من عقلاء الناس من اسدى لهم بالنصيحة لعلهم يدركون حقيقة المؤامرة على العرب والأكراد معا، فلا يندفعون وراء تشجيع الأمريكان ومن يدور في فلكهم في هذا الأمر؛ لأن المحتلين يرحلون حاملين معهم ما اقترفوه من جرائم سودت صفحات من تاريخهم، فوق صفحاتهم المليئة بالسواد.! أما الأخوَّة بين العرب والأكراد، فتظل قائمة إن شاء الله كما كانت من قبل.

---

(٢٣) دور إسرائيل ص٥٥ نقلا عن صحيفة (معاريف) الصادرة في ١٨/ ١٢/ ١٩٨١.

اتبعت اسرائيل اساليب كثيرة لإضعاف العالم العربي، فقد كانت تحرص على الوصول إلى اهدافها من أقصر السبل، وبخاصة السبل التي لا تستعمل فيها القوة العسكرية، وقد نظرت الى الوطن العربي، فرأت في كل بلد اقليات عرقية وطائفية ودينية، فعملت على استغلال عدد من تلك الأقليات، ووظفتها للقيام بمصالحها من أجل إضعاف الوطن العربي وما مصالحها في ذلك إلا تقسيم البلاد العربية . فهذا (ابا ايبان) وزير خارجية اسرائيل الأسبق يقول:

(الحل الطبيعي هو تشكيل دويلات للأقليات الواقعة شمال إسرائيل)[٢٤].

وتتوالى أقوال الإسرائيليين المختصين بالشؤون العربية باهميَّة الأقليات لأمن وأمان إسرائيل فيقول أحدهم:

(إذا استطاعت إسرائيل الإتصال بهذه المجموعات كافة، المعادية للعروبة والإسلام، فإنها ستتمكن من تفتيت العالم الإسلامي قطعا)[٢٥].

وتطبيقا لذلك مدت (اسرائيل) في أواخر الخمسينات من القرن العشرين الجسور مع تلك الأقليات، فقدمت لهم المساعدات المادية ودعمتهم من الناحية السياسية. وبعد أن توطدت العلاقة بينهما شجعت طموحاتهم على الإنفصال من أجل إضعاف العالم العربي وتفتيته، وهكذا كان، فقد جعلت من الأقليات مشكلة قامت بتضخيمها، ودعتها إلى التمرد وحمل السلاح، وأمدتها بالأسلحة والمساعدات؛ لتنفصل عن الأقطار العربية؛

---

(٢٤) دور اسرائيل في تفتيت الوطن العربي ص٤٨ .

(٢٥) دور اسرائيل في تفتيت الوطن العربي ص٤٨ .

ذلك لأن انفصال الأقليات يضعف العالم العربي إذ تقام دويلات صغيرة عرقية أو طائفية أو دينية ضعيفة هنا وهناك، وظلت دولة اسرائيل تعزف على هذه القيثارة حتى وجدت من يستجيب لها؛ فرفعت تلك الأقليات شعار المطالبة بحقها في تقرير مصيرها والإنفصال عن القطر الذي نشأت فيه. ولا أزعم أن الأقليات كلها خدعت باحابيل اليهود والأمريكان ومن يدور في فلكهم ، فهناك من الأقليات من استعصت على الإنصياع لما تلوِّح به اسرائيل من مساعدات من أجل الانفصال، وظلت مخلصة لأمتها ترفع رأسها بين الأمم في عزة وشموخ.

إسرائيل تقدم المساعدات لعدد من الأقليات

اعترف اسحق رابين رئيس الوزراء الإسرائيلي السابق بأن اسرائيل قدمت مساعدات لعدد من الأقليات، ومن أبرزها:

(تقديم الأسلحة لها بما في ذلك: التدريب والإمدادات في أماكن وجودها، أو في داخل إسرائيل، حيث توجد في سلسلة جبال الكرمل إلى الشرق والجنوب منها: معسكر (القوش) لتدريب بعض الأكراد العراقيين، ومعسكر أطلس لتدريب بعض البربر، بالإضافة إلى معسكرات لتدريب عناصر من المعارضة الليبية والإيرانية، وعناصر موالية لـ (سمير جعجع) كانت قد وصلت إلى منطقة (حيفا) قبل نهاية عام ١٩٩٠، وعناصر من فصائل التمرد في جنوب السودان، وكذلك توفير الغطاء السياسي والإقليمي والدولي عن طريق ضمان الدعم الدولي –وخاصة الدعم الأمريكي لهذه الحركات،

وتوفير الإمكانات الإعلامية؛ لتمكنها من إسماع صوتها بصورة مباشرة أو غير مباشرة)[٢٦].

<u>إحصاءات في شؤون الأقليات</u>

وجود الأقليات في الدول فرصة سانحة للتدخل في شؤونها. ومن يطلع على احصائيات التدخل في شؤون الأقليات يجد العجب العجاب. يقول الدكتور أحمد سعيد نوفل البروفيسور في قسم العلوم السياسية بجامعة اليرموك:

(تحتل المنطقة العربية المرتبة الثالثة عالميا في درجة التدخل الخارجي في أقلياتها بعد التدخل في أسيا وجزر المحيط الهادي، ٤٨٢ تدخلا بنسبة ٤٩٪.

في جنوب الصحراء الأفريقية ٢٥١ تدخلا بنسبة ٢٦٪

في المنطقة العربية ٢٣٨ تدخلا بنسبة ١١٪)[٢٧].

ولكن ما نسبة تلك المساعدات التي تقدم للأقليات في الدول؟

إن ٧٥٪ من المساعدات التي تقدم لهذه الأقليات هي مساعدات عسكرية. فليتأمل القارئ.!!

وننظر في السياسة الأمريكية في أمر التقسيم، فنجدها حريصة كل الحرص على الإهتمام بالأقليات في العالم العربي من أجل أن تحصل تلك الأقليات –وبخاصة في العالم العربي– على الحكم الذاتي، ولا ريب أن في ذلك ضعفا واضحاً للبلاد العربية، فقال (ريتشارد باركر) السفير الأمريكي السابق في لبنان:

---

(٢٦) دور اسرائيل في تفتيت الوطن العربي ص٥٤.

(٢٧) دور اسرائيل في تفتيت الوطن العربي ص٤٤.

(الرئيس الأمريكي جورج بوش سيعمل خلال الفترة المتبقية من ولايته الرئاسية على وضع اسس ثابتة لمشاريع خرائط طرق لمنطقة الشرق الأوسط، تنطلق من تطلعات القسم الأكبر من ممثلي الأقليات الدينية والمذهبية والعرقية التي تتمحور كلها حول ضرورة منح الحكم الذاتي لهذه الأقليات عبر إقامة أنظمة حكم ديمقراطية فدرالية بديلة للأوطان والحكومات القائمة الآن)[٢٨].

هذا جانب من جوانب مؤامرات الغرب وإسرائيل في إضعاف البلاد العربية والعراق بخاصة، محاولة تقسيمها إلى دويلات هزيلة؛ لتظل إسرائيل في أمن وأمان؛ وتتوسع في حدودها المرة بعد المرة على حساب البلاد العربية، والعالم الغربي معها يمدها بأسباب القوة المادية والمعنوية.. إنها تفعل ذلك من أجل أن تحقق الحلم الذي عاشته قرونا عدة وأدخلته في نفوس اليهود: من الفرات إلى النيل.!

فهل تتنبه البلاد العربية إلى ما يراد بها؟!!.

---

[٢٨] صراع المصالح في بلاد الرافدين ص١٦٩.

هذه الفدراليات الى اين؟![29]

يقف المتأمل في أوضاع العراق حائراً أمام ظاهرة الدعوة إلى (الفدرالية). فبعد أن كان كثير من الأكراد في شمال العراق ينادون بها، وإذ بالدعوة نفسها تنطلق من أناسٍ في جنوب العراق بعد ذلك. بيد أن الفارق بين دعوة كثير من الأكراد في الشمال ودعوة بعض من الناس في الجنوب أن الأحزاب في شمال العراق وعدداً ليس بالقليل من الناس تنادي بالفدرالية، ولا ندري أن الناس هناك مقتنعون بها أم أن ضغط الأحزاب السياسيةِ الحاكمة هو الذي يحملهم على هذه الدعوة. وأما في جنوب العراق فإن من يدعو إلى الفدرالية ليس بالعدد الكثير أولاً، وأن معارضتها قائمة على قدم وساق ثانياً، وأنهم منقسمون في نوعية الفدرالية التي يريدون الحصول عليها: فهناك من يدعو إلى فدرالية المحافظة الواحدة أي أن تحصل كل محافظة على فدرالية مستقلة، وهناك من يدعو إلى أن تشكِّل كل ثلاث محافظات فدرالية، وهناك من يدعو إلى أن تكون المنطقة الجنوبية كلها فدرالية واحدة.

وترتفع أصوات الناس هنا وهناك: فهذا يؤيد هذا اللون من الفدرالية وذاك يؤيد اللون الآخر، وتقف أعداد ليست بالقليلة من الناس والجبهات تعارض هذه الفدراليات وتعتبرها لوناً من ألوان تقسيم العراق، فإن لم تكن تقسيماً صريحاً واضحاً فلا أقل من أن تكون خطوة من خطوات التقسيم.

ويقيم هؤلاء المعارضون للفدرالية أدلتهم على الضرر الكبير الذي ينال العراق إن تحققت هنا أو هناك، ويأتون بالوثائق الكثيرة من تصريحات اليهود ودهاقنة الغرب على

---

(29) تم نشر المقال على موقع مفكرة الإسلام بتاريخ ٢٧/ ١٢/ ٢٠١٠

حرصهم على تفتيت العراق وتمزيقه؛ لأن تلك كانت أمنية من أعز الأماني التي يحرصون عليها. وإن ينس الناس شيئاً فلن ينسوا تصريح (ناحوم كولدمان) رئيس المؤتمر اليهودي العالمي فقد صرح في باريس لجمع من الصحفيين قائلاً :"إذا أردنا لإسرائيل البقاء والاستمرار، فعلينا أن نساهم في تمزيق الوطن العربي إلى دويلات طائفية وعنصرية يكون لإسرائيل منها الدور القيادي والطليعي: دويلة درزية على الحدود السورية الإسرائيلية، ودويلة مارونية في لبنان، ودويلة كردية في شمال العراق، [٣٠].

هذا ما يتعلق في تلك الحقبة من الزمن، أي في سنة ١٩٧٤م. وقد كان وضع البلاد العربية والإسلامية أحسن حالاً من وضعها في وقتنا هذا، وأما الآن، فيرون أن الوقت قد حان لتمزيق العراق أولاً وتمزيق البلاد العربية والإسلامية بعد ذلك؛ إذ السياسة ليس لها خط مستقيم واحد تسيرُ عليه، بل هي متغيرةٌ وفق تغير أوضاع البلاد.

وإذا كان هؤلاء قد بدأوا بالعراق الآن، فإن باقي البلاد العربية على الطريق (والحبل على الجرار) كما يقولون. وقد يعجب القارئ إذا قلت: إن هناك من الناس من تنبأ بهذا التقسيم في العشرينيات من القرن العشرين. فهذا الشاعر محمد مهدي الجواهري قال هذه القصيدة سنة ١٩٢٩ في فلسطين الجريحة إثر الحوادث الدامية بين العرب والانجليز ومطلعها:

فاضت جروح فلسطين مذكرةً		جرحا بأندلسٍ للآن ماالتاما
سيلحقون فلسطينا بأندلسٍ		ويعطفون عليها البيت والحرما

(٣٠) مجلة الأسبوع العربي، لشهر نيسان ١٩٧٤.

ويسلبونـــــــــــك بغـــــداداً وجلّقـــــــــــةً		ويتركونك لا لحمـــــا ولا وضمـــــــــا

وما تنبأ به الجواهري سنة ١٩٢٩ قد تحقق في فلسطين بعد ذلك، ويتحقق الآن في العراق.

ولقد علق الفيلسوف الفرنسي المسلم (روجيه جارودي) على مقال للمنظمة العالمية الصهيونية بالقدس، نشرتها مجلة (كيفونيم) الإسرائيلية وفيها تبيان للإستراتيجية الإسرائيلية في الثمانينات فقال جارودي: "..في هذا النص كشف واضح للأساليب التي تنوي إسرائيل إتباعها من أجل التدخل المنظم والعام ضد أنظمة الحكم في جميع البلدان العربية بغية تفكيكها وتفتيتها مما يتجاوز نطاق كل الاعتداءات السابقة. ومشروع بمثل هذه الضخامة تؤيده الولايات المتحدة الأمريكية تأييداً غير مشروط وغير محدود...)[٣١]

وذكر جارودي مقال المنظمة العالمية الصهيونية بالقدس فيما يتعلق بمصر:"... يجب أن يكون هدفنا هو تقسيمها إلى أقاليم جغرافية متباينة فإذا ما تمت تجزئة مصر، وإذا فقدت سلطتها المركزية فلن تلبث بلدان مثل ليبيا والسودان وبلدان أخرى أبعد من ذلك أن يصيبها التحلل، وتشكيل حكومة قبطية في مصر العليا، وإقامة كيانات صغيرة إقليمية هو مفتاح تطور تاريخ يؤخره حالياً اتفاق السلام، ولكنه تطور آتٍ لا محالة على

(٣١) ملف إسرائيل –دراسة للصهيونية السياسية تأليف روجيه جارودي ص١٦٠

الأمد الطويل .. وتقسيم لبنان إلى خمسة أقاليم   يوضح ما يجب أن ينفذ في البلدان العربية)[٣٢]

ولا أدري بعد ذلك كله هل ينتبه المخلصون إلى ما يُراد بالعراق وبالبلاد العربية فيميطوا اللثام عن وجوه الذين يسيرون في المشروع الأنجلو - أمريكي الذي يريد تقسيم العراق تحت مسمى الفدرالية، أم يظلُ هؤلاء يجاملون هذا وذاك على حساب مستقبل البلاد؟

ونعود إلى الحديث في الفدرالية فأقول، لا نريد أن نجرد الشعب الكردي ولا مناطق جنوب العراق من الحقوق السياسية فتلك حقوق طبيعية لهم على ألا يؤول ذلك إلى تقسيم العراق مستقبلاً.

إن المعروف عن الفدرالية أنها تتكون من دولتين مستقلتين فأكثر، فيتم الاتحاد بينها لتحقيق المصالح التي يبغونها وتكون الحكومة المركزية هي الشخصية الدولية، والسيادة الخارجية لا تكون إلا للحكومة المركزية. ويشترط في الدولتين أو الدول التي تتحد في الفدرالية ألا يقوم ذلك الاتحاد على أساس عرقي أو طائفي؛ لأن قيام الدولة على العرقية أو الطائفية يؤول إلى الانفصال مستقبلاً. ولا ريب أن الاتحاد المذكور يؤدي إلى قوة الدولتين أو الدول في المجالات العلمية والحضارية والاقتصادية والسياسية والحربية وغير ذلك. وهذا الذي ذكرناه لا ينطبق على الفدرالية التي ينادى بها في شمال العراق وجنوبه؛ ذلك أن الدولتين اللتين تتحدان كل منهما مستقلة فلا تتكون الفدرالية إذن من

---

(٣٢) ملف إسرائيل تأليف روجيه جارودي ص١٦٣

دولة ومنطقة تابعة لها بحجة أن هذه المنطقة أو تلك تتكون من قومية واحدة أو مذهب واحد.

ونحن حين ننظر إلى منطقة شمال العراق نرى أن الناس فيها يسافرون بجوازات سفر عراقية، أما العملة التي يتداولونها فهي العملة العراقية أيضاً، ومن حق أي فرد كان من أيةِ محافظة كانت أن يسافر إلى هذه المحافظة أو تلك بلا جواز سفر. وهكذا يبدو واضحاً أن الفدرالية التي ينادى بها في العراق الآن إنما هي لون من ألوان تقسيم الحكومة المركزية إلى حكومات متعددة، ثم الاندماج في حكومة عامة.

ولابد لنا أن نشير هنا إلى أن وضع التركيبة السكانية في العراق يختلف عن أوضاع أكثر دول العالم وذلك لكثرة القوميات والديانات فيه. فلو قامت كل أقلية عرقية أو طائفية بتشكيل دولة مستقلة لها لتحول العراق إلى قبائل كالقبائل العربية في العصر الجاهلي.

بين فدرالية العراق والإمارات العربية المتحدة

قد يقول قائل :"لقد نجحت تجربة الإمارات العربية المتحدة كل النجاح حين تجمعت فيما يشبه الفدرالية، فلماذا لا ينهج العراق النهج نفسه؟ أوَليست تجربة الإمارات العربية كانت ولا تزال كذلك من التجارب الناجحة وهي تشبه تجربة الفدرالية؟؟.

والجواب عن ذلك، أن الفرق شاسع بين اتحاد الإمارات والفدرالية التي ينادى لتحقيقها في العراق؛ ذلك أنّ كل إمارةٍ من الإمارات قبل اتحادها مع غيرها كانت صغيرة بل بالغةً في الصغر في مساحتها وفي عدد سكانها فقد يصح أن يطلق عليها آنذاك مصطلح (المشيخات). وكانت كل مشيخة أو إمارةٍ تتناثر أجزاؤها هنا وهناك فقد كان وضع هذه الإمارات شاذاً بحق، لكنها حين اتحدت قويت وتطورت من النواحي التعليمية

والحضارية والاقتصادية والثقافية والسياسية والعسكرية، واتحاد هذه الإمارات – فوق ذلك – تعتبر من الضروريات التي دعا إليها الإسلام حيث دعا إلى الاتحاد والتوحد.

أما الفدرالية التي ينادى بها في العراق اليوم، فتختلف عن ذلك فإن العراق دولة واحدة يراد لها باسم الفدرالية أن تقسم إلى أقاليم طائفية أو قومية، وتأتي الدعوة بعد التقسيم إلى أن تتحد هذه الأقاليم، وكل من يتأمل بهذا الصنيع يرى انه خدمة لإسرائيل ولأعداء هذه الأمة.

ولابد لنا أن نكون صرحاء في كل ما نقول، فإن الفدرالية التي يراد عملها في العراق لم تنبع من مطالب غالبية الشعب العراقي، بل هي نتيجة ضغوط الدول المحتلة، ولابد أن يدب الخلاف بين هذه الأقاليم فيستقل كل إقليم وحده، وقد تكون قبل ذلك أو بعده حروب أهلية تأكل الأخضر واليابس وتهلك الحرث والنسل، وها هي بوادر تلك الحرب ترفع برأسها هنا وهناك، وكل من يستمع إلى نشرة من نشرات الأخبار يرى ذلك واضحاً.

ونحب أن نشير هنا إلى أن الفدرالية تتناقض مع الشعار الذي يرفعه دعاتها من المحافظة على وحدة وسلامة الأراضي العراقية. فأيُّ وحدةٍ وأية سلامة للأرض مع الفدرالية؟!.

وبعد:

فإن عالم اليوم يسير نحو التّوحد والاتحاد والتحالف، وكلنا نسمع باتحاد جنوب شرق آسيا، ومنظمة الوحدة الأفريقية، وحلف شمال الأطلسي، والسوق الأوروبية المشتركة وغير ذلك. ونحن المسلمين أولى من غيرنا في الوحدة والتّوحد فإن الله عز وجل دعانا إلى ذلك فقال تعالى: (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا) وحبل الله: هو

الجماعة والاتحاد وعدم الفرقة. فهل يعود دعاة الفدرالية إلى رشدهم، ويقدموا مصلحة الأمة ووحدة البلاد على كل شيء؟.

هذه الفدراليات الى اين؟![33]

يقف المتأمل في أوضاع العراق حائراً أمام ظاهرة الدعوة إلى (الفدرالية). فبعد أن كان كثير من الأكراد في شمال العراق ينادون بها، وإذ بالدعوة نفسها تنطلق من أناسٍ في جنوب العراق بعد ذلك. بيد أن الفارق بين دعوة كثير من الأكراد في الشمال ودعوة بعض من الناس في الجنوب أن الأحزاب في شمال العراق وعدداً ليس بالقليل من الناس تنادي بالفدرالية، ولا ندري أن الناس هناك مقتنعون بها أم أن ضغط الأحزاب السياسيةِ الحاكمة هو الذي يحملهم على هذه الدعوة. وأما في جنوب العراق فإن من يدعو إلى الفدرالية ليس بالعدد الكثير أولاً، وأن معارضتها قائمة على قدم وساق ثانياً، وأنهم منقسمون في نوعية الفدرالية التي يريدون الحصول عليها: فهناك من يدعو إلى فدرالية المحافظة الواحدة أي أن تحصل كل محافظة على فدرالية مستقلة، وهناك من يدعو إلى أن تشكِّل كل ثلاث محافظات فدرالية، وهناك من يدعو إلى أن تكون المنطقة الجنوبية كلها فدرالية واحدة.

وترتفع أصوات الناس هنا وهناك: فهذا يؤيد هذا اللون من الفدرالية وذاك يؤيد اللون الآخر، وتقف أعداد ليست بالقليلة من الناس والجبهات تعارض هذه الفدراليات وتعتبرها لوناً من ألوان تقسيم العراق، فإن لم تكن تقسيماً صريحاً واضحاً فلا أقل من أن تكون خطوة من خطوات التقسيم.

ويقيم هؤلاء المعارضون للفدرالية أدلتهم على الضرر الكبير الذي ينال العراق إن تحققت هنا أو هناك، ويأتون بالوثائق الكثيرة من تصريحات اليهود ودهاقنة الغرب على

(33) تم نشر المقال على موقع مفكرة الإسلام بتاريخ ٢٧/ ١٢/ ٢٠١٠

حرصهم على تفتيت العراق وتمزيقه؛ لأن تلك كانت أمنية من أعز الأماني التي يحرصون عليها. وإن ينس الناس شيئاً فلن ينسوا تصريح (ناحوم كولدمان) رئيس المؤتمر اليهودي العالمي فقد صرح في باريس لجمع من الصحفيين قائلاً :"إذا أردنا لإسرائيل البقاء والاستمرار، فعلينا أن نساهم في تمزيق الوطن العربي إلى دويلات طائفية وعنصرية يكون لإسرائيل منها الدور القيادي والطليعي: دويلة درزية على الحدود السورية الإسرائيلية، ودويلة مارونية في لبنان، ودويلة كردية في شمال العراق، "[٣٤].

هذا ما يتعلق في تلك الحقبة من الزمن- أي في سنة ١٩٧٤م. وقد كان وضع البلاد العربية والإسلامية أحسن حالاً من وضعها في وقتنا هذا، وأما الآن، فيرون أن الوقت قد حان لتمزيق العراق أولاً وتمزيق البلاد العربية والإسلامية بعد ذلك؛ إذ السياسة ليس لها خط مستقيم واحد تسيرُ عليه، بل هي متغيرةٌ وفق تغير أوضاع البلاد.

وإذا كان هؤلاء قد بدأوا بالعراق الآن، فإن باقي البلاد العربية على الطريق (والحبل على الجرار) كما يقولون. وقد يعجب القارئ إذا قلت: إن هناك من الناس من تنبأ بهذا التقسيم في العشرينيات من القرن العشرين. فهذا الشاعر محمد مهدي الجواهري قال هذه القصيدة سنة ١٩٢٩ في فلسطين الجريحة إثر الحوادث الدامية بين العرب والانجليز ومطلعها:

فاضت جروح فلسطين مذكرةً   جرحا بأندلسٍ للآن ماالتاما
سيلحقون فلسطينا بأندلسٍ   ويعطفون عليها البيت والحرما
ويسلبونـك بغداداً وجلّقـــــةً   ويتركونك لا لحما ولا وضمـــــا

---

(٣٤) مجلة الأسبوع العربي، لشهر نيسان ١٩٧٤.

وما تنبأ به الجواهري سنة ١٩٢٩ قد تحقق في فلسطين بعد ذلك، ويتحقق الآن في العراق.

ولقد علق الفيلسوف الفرنسي المسلم (روجيه جارودي) على مقال للمنظمة العالمية الصهيونية بالقدس، نشرتها مجلة (كيفونيم) الإسرائيلية وفيها تبيان للإستراتيجية الإسرائيلية في الثمانينات فقال جارودي: "..في هذا النص كشف واضح للأساليب التي تنوي إسرائيل إتباعها من أجل التدخل المنظم والعام ضد أنظمة الحكم في جميع البلدان العربية بغية تفكيكها وتفتيتها مما يتجاوز نطاق كل الاعتداءات السابقة. ومشروع بمثل هذه الضخامة تؤيده الولايات المتحدة الأمريكية تأييداً غير مشروط وغير محدود...)[٣٥]

وذكر جارودي مقال المنظمة العالمية الصهيونية بالقدس فيما يتعلق بمصر:"... يجب أن يكون هدفنا هو تقسيمها إلى أقاليم جغرافية متباينة فإذا ما تمت تجزئة مصر، وإذا فقدت سلطتها المركزية فلن تلبث بلدان مثل ليبيا والسودان وبلدان أخرى أبعد من ذلك أن يصيبها التحلل، وتشكيل حكومة قبطية في مصر العليا، وإقامة كيانات صغيرة إقليمية هو مفتاح تطور تاريخ يؤخره حالياً اتفاق السلام، ولكنه تطور آتٍ لا محالة على

(٣٥) ملف إسرائيل –دراسة للصهيونية السياسية تأليف روجيه غارودي ص١٦٠

الأمد الطويل .. وتقسيم لبنان إلى خمسة أقاليم   يوضح ما يجب أن ينفذ في البلدان العربية)[٣٦]

ولا أدري بعد ذلك كله هل ينتبه المخلصون إلى ما يُراد بالعراق وبالبلاد العربية فيميطوا اللثام عن وجوه الذين يسيرون في المشروع الأنجلو – أمريكي الذي يريد تقسيم العراق تحت مسمى الفدرالية، أم يظلُ هؤلاء يجاملون هذا وذاك على حساب مستقبل البلاد؟

ونعود إلى الحديث في الفدرالية فأقول، لا نريد أن نجرد الشعب الكردي ولا مناطق جنوب العراق من الحقوق السياسية فتلك حقوق طبيعية لهم على ألا يؤول ذلك إلى تقسيم العراق مستقبلاً.

إن المعروف عن الفدرالية أنها تتكون من دولتين مستقلتين فأكثر، فيتم الاتحاد بينها لتحقيق المصالح التي يبغونها وتكون الحكومة المركزية هي الشخصية الدولية، والسيادة الخارجية لا تكون إلا للحكومة المركزية. ويشترط في الدولتين أو الدول التي تتحد في الفدرالية ألا يقوم ذلك الاتحاد على أساس عرقي أو طائفي؛ لأن قيام الدولة على العرقية أو الطائفية يؤول إلى الانفصال مستقبلاً. ولا ريب أن الاتحاد المذكور يؤدي إلى قوة الدولتين أو الدول في المجالات العلمية والحضارية والاقتصادية والسياسية والحربية وغير ذلك. وهذا الذي ذكرناه لا ينطبق على الفدرالية التي ينادى بها في شمال العراق وجنوبه؛ ذلك أن الدولتين اللتين تتحدان كل منهما مستقلة فلا تتكون الفدرالية إذن من

---

(٣٦) ملف إسرائيل تأليف روجيه غارودي ص١٦٣

دولة ومنطقة تابعة لها بحجة أن هذه المنطقة أو تلك تتكون من قومية واحدة أو مذهب واحد.

ونحن حين ننظر إلى منطقة شمال العراق نرى أن الناس فيها يسافرون بجوازات سفر عراقية، أما العملة التي يتداولونها فهي العملة العراقية أيضاً، ومن حق أي فرد كان من أيةِ محافظة كانت أن يسافر إلى هذه المحافظة أو تلك بلا جواز سفر. وهكذا يبدو واضحاً أن الفدرالية التي ينادى بها في العراق الآن إنما هي لون من ألوان تقسيم الحكومة المركزية إلى حكومات متعددة، ثم الاندماج في حكومة عامة.

ولابد لنا أن نشير هنا إلى أن وضع التركيبة السكانية في العراق يختلف عن أوضاع أكثر دول العالم وذلك لكثرة القوميات والديانات فيه. فلو قامت كل أقلية عرقية أو طائفية بتشكيل دولة مستقلة لها لتحول العراق إلى قبائل كالقبائل العربية في العصر الجاهلي.

بين فدرالية العراق والإمارات العربية المتحدة

قد يقول قائل :"لقد نجحت تجربة الإمارات العربية المتحدة كل النجاح حين تجمعت فيما يشبه الفدرالية، فلماذا لا ينهج العراق النهج نفسه؟ أوَليست تجربة الإمارات العربية كانت ولا تزال كذلك من التجارب الناجحة وهي تشبه تجربة الفدرالية؟؟.

والجواب عن ذلك، أن الفرق شاسع بين اتحاد الإمارات والفدرالية التي ينادى لتحقيقها في العراق؛ ذلك أنّ كل إمارةٍ من الإمارات قبل اتحادها مع غيرها كانت صغيرة بل بالغةً في الصغر في مساحتها وفي عدد سكانها فقد يصح أن يطلق عليها آنذاك مصطلح (المشيخات). وكانت كل مشيخة أو إمارةٍ تتناثر أجزاؤها هنا وهناك فقد كان وضع هذه الإمارات شاذاً بحق، لكنها حين اتحدت قويت وتطورت من النواحي التعليمية

والحضارية والاقتصادية والثقافية والسياسية والعسكرية، واتحاد هذه الإمارات – فوق ذلك – تعتبر من الضروريات التي دعا إليها الإسلام حيث دعا إلى الاتحاد والتوحد.

أما الفدرالية التي ينادى بها في العراق اليوم، فتختلف عن ذلك فإن العراق دولة واحدة يراد لها باسم الفدرالية أن تقسم إلى أقاليم طائفية أو قومية، وتأتي الدعوة بعد التقسيم إلى أن تتحد هذه الأقاليم، وكل من يتأمل بهذا الصنيع يرى انه خدمة لإسرائيل ولأعداء هذه الأمة.

ولابد لنا أن نكون صرحاء في كل ما نقول، فإن الفدرالية التي يراد عملها في العراق لم تنبع من مطالب غالبية الشعب العراقي، بل هي نتيجة ضغوط الدول المحتلة، ولابد أن يدب الخلاف بين هذه الأقاليم فيستقل كل إقليم وحده، وقد تكون قبل ذلك أو بعده حروب أهلية تأكل الأخضر واليابس وتهلك الحرث والنسل، وها هي بوادر تلك الحرب ترفع برأسها هنا وهناك، وكل من يستمع إلى نشرة من نشرات الأخبار يرى ذلك واضحاً.

ونحب أن نشير هنا إلى أن الفدرالية تتناقض مع الشعار الذي يرفعه دعاتها من المحافظة على وحدة وسلامة الأراضي العراقية. فأيُّ وحدةٍ وأية سلامة للأرض مع الفدرالية؟!.

وبعد:

فإن عالم اليوم يسير نحو التّوحد والاتحاد والتحالف، وكلنا نسمع باتحاد جنوب شرق آسيا، ومنظمة الوحدة الأفريقية، وحلف شمال الأطلسي، والسوق الأوروبية المشتركة وغير ذلك. ونحن المسلمين أولى من غيرنا في الوحدة والتّوحد فإن الله عز وجل دعانا إلى ذلك فقال تعالى:﴿واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا﴾ وحبل الله: هو الجماعة

والاتحاد وعدم الفرقة. فهل يعود دعاة الفدرالية إلى رشدهم، ويقدموا مصلحة الأمة ووحدة البلاد على كل شيء؟.

الفهرس